

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾

لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون - اللقاء الأول

خطب المناسبات

محاضرة في الأردن

2021-08-09

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الخوف مطلوب ولكن الحزن منهى عنه:



الإنسان يخاف من المستقبل المجهول

أيها الأخوة الأحباب؛ في كتاب الله أربع عشرة آية فيها قوله تعالى: "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، هذه الآيات تعطي أصنافاً من الناس لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الحزن على الماضي، إذا أراد الإنسان أن يعقد صفقة تجارية كان يمكن أن يربحها، أن يربح من وراءها شيئاً كثيراً لكن عند إبرامها كان مسافراً، فلما بلغه أنه كان من ورائها مبلغ كبير يحزن لما فاتته من المال، وإذا كان متوقعاً أنه بالتحليل يكون هناك مشكلة، والتحليل يحتاج إلى ثلاثة أيام حتى يصدر فإنه يخاف، طبيعة الإنسان يخاف من المستقبل المجهول، ويحزن إذا فاتته شيء من الدنيا، الحزن لم يأت في القرآن إلا منهياً عنه، لأن الحزن عندما يملأ القلب لا يستطيع الإنسان حتى أن يحسن صلتة بخالقه، فالحزن منهى في القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا تَتَضَرَّوهُ فَقَدْ تَصَرَّهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)

[سورة التوبة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)

[سورة آل عمران]

حتى في السنة الشريفة الحزن ثلاثة أيام على الفراق، ثم نتطلق إلى الحياة، حتى إن الإنسان لا ينبغي له أن يحزن على شيء قد فاته من الدنيا، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خير، احْرِصْ على ما ينفَعُكَ، واستعن بالله ولا تعجزْ، وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلا تقلْ: لو أَنِّي فعلْتُ لكان كذا وكذا، ولكن قلْ: قَدَّرَ الله وما شاءَ فَعَلَ، فإن ' لو ' تفتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ }

[أخرجه مسلم]

أي مثل الحالة التي قلناها قبل قليل: رجع من السفر قالوا له: طارت الصفة (**قَدَّرَ الله وما شاءَ فَعَلَ**) لو كانت لي لجاءت، نقطة انتهت، لا يحزن، المؤمن لا يحزن على ما فاته من الدنيا، فالحزن دائماً منهى عنه، الخوف مطلوب، لكن مم نخاف؟ ليس من المجهول، ولكن نعلم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)

[سورة التوبة]



المؤمن لا يحزن على ما فاته من الدنيا

فيطمئن الإنسان فيصبح خائفاً من ذنوبه، خائفاً من وقوفه بين يدي الله مقصراً في ذنبه، خائفاً من الله عز وجل لما يعظم الله عز وجل وهيبته في نفسه، فالمؤمن يخاف، لكن خوفه محمود، لا يخاف من المجهول، أهل الدنيا يقولون: هناك مجهول. أما المؤمن فيقول: ليس هناك مجهول، القادم بإرادة الله، وما قدره الله كائن (**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**) ولم يقل: كتب الله علينا، لأن ما كتبه الله هو في محصلة الأمر سيكون ماله خيراً لك، شئت أم أبيت، أي قد تجد أن المرض شر، هو فعلاً شر، ينسأل الله العافية، شر نسبي، أنت بنظرك له من زاوية معينة شر، لكن عندما تعلم أن الله كفر عنك به ذنباً، ورفع به درجات عنده يوم القيامة ستعرف أن المرض أصبح خيراً وليس شراً، ففي المحصلة لا خوف في المستقبل على شيء، لأنه ليس أمام المؤمن شيء اسمه المجهول، كله بقدر الله، وكله مقدر، وكما قالوا: المقدور لا يوجد منه مهرب، فيرتاح المؤمن لذلك ويصبح خوفه من ذنوبه، من تقصيره.

وقد جاء عن الصحابة الكرام: لا يخافن العبد إلا ذنبه، لا تخف من شيء إلا إذا وقعت في ذنب فعليك أن تخاف، أما إذا كنت مستقيماً مع الله عز وجل فعليك ألا تخاف، وقعت إلى ذنب بادر إلى التوبة، الخوف من أجل أن تبادر إلى التوبة.

{ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ {
[أخرجه ابن ماجه]

من يتبع هدى الله لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة:

إذا: لا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا في الماضي، من هم هؤلاء في القرآن الكريم؟ الآية الأولى في سورة البقرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)

[سورة البقرة]



الهدى هدى الله

لما اهبط آدم وجاء قال: (اهبطوا) لأن ذريتهم هبطت كلها، أي اهبطوا من مكان إلى مكان، من الأعلى إلى الأدنى، من الجنة التي كانوا فيها جنة القرب من الله أعلى من الأرض: (فُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) الهدى هدى الله، قال: (فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) أي أنت عندما تتبع الهدى تقول: تتبع فلاناً أو تبعته، أي خطوة على خطوة، وراءه، فالإنسان المؤمن يتبع هدى الله، أين يوجد شيء يرضي الله يسير وراءه، فإذا كان هناك شيء فيه معصية يتجاوزها (فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فما دمت في هدى الله فانت في مأمن من الخوف ومن الحزن، أما أهل الدنيا فهم في حزن وفي خوف، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ رَعَانِيهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ تَدْلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَتَأَلَّوْا بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ فَهَانُوا عَلَيْهِمْ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ جَعَلَ الْهَمُّومَ هَمًّا وَاجِداً هَمَّ آجَرْتِهِ كَقَاءِ اللَّهِ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَسَعَّبَتْ بِهِ الْهَمُّومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْرِيَّتِهَا هَلَكَ {

[أخرجه ابن ماجه]



الهم هو رضا الله

أي أنت همك واحد لا يوجد غيره، أن يرضى الله، الآن رضيت الزوجة في رضا الله، رضي مدير العمل في رضا الله، أما رضي مدير العمل في سخط الله فمعاد الله، هم واحد، الهم هو رضا الله، قال: **(ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك)** يهلك في الدنيا بأي واد من أوديتها لأنها متشعبة، يريد أن يرضي مديره بالعمل، مديره بالعمل يريد أن يوقع توفيقاً لا يرضي الله، يريد أن يرضي شريكه، شريكه يريد أن يحضر صفقة فيها محرمات، يريد أن يرضي زوجته، وزوجته تريد أن يزيد دخله قليلاً ويكثر الإنفاق، يريد أن يرضي أولاده، أولاده يريدون أن يسرحوا وفق ما يريدون ويعملوا ما يريدون، فهو تشعبت به الهموم يريد أن يرضي الجميع، يقول لك: لا أحد يرضي، أنت لماذا تريد أن ترضي كل الناس؟ أنت اجعل رضا الله نصب عينيك، الباقي الذي يقع رضاه مع رضا الله قل: أهلاً وسهلاً، والذي لا يقع رضاه مع رضا الله فلا أريد أن يرضي.

يزيد بن هبيرة، كان والياً على العراقيين، كان يسمون الكوفة والبصرة العراقيان، في زمن الخليفة يزيد بن معاوية، فجاء كتاب من يزيد بن معاوية لابن هبيرة، الكتاب فيه إنفاذ حكم على سجين، ربما اليوم يعرف هذا بالسجين السياسي مثلاً، فهناك إنفاذ حكم على سجين، ابن هبيرة وجد أن الأمر لا يرضي الله، لكن يزيد الخليفة وبعث للوالي، كان بإمكان الوالي أن يقول: أنا عبد مأمور، ألا يقول الناس اليوم كذا؟ أنا لا علاقة لي، ابن هبيرة كان عاقلاً، فاستدعى الشعبي، وهو تابعي من التابعين الأجلء، استدعى الحسن البصري وهو من كبار التابعين، وعرض عليهما المسألة، وقال: جاءني كتاب من الوالي، إن أمضيته أغضبت الله، وإن منعت الكتاب - أوقفته - أغضبت يزيد، فما أنا فاعل؟ فقال له الشعبي كلاماً فيه ملاحظة وملاينة ومسايرة، سأخيل ماذا قال له، قال له: حاول أن ترضي الطرفين، ترضي ربنا عز وجل، وترضي يزيد، قل له: سنؤخر التنفيذ، قل له: نفذت، ولا تنفذ، أي أمسك العصا من المنتصف، بهذا الكلام الذي يقوله الناس، فقال له الشعبي كلاماً فيه ملاحظة وملاينة ومسايرة، فالتفت إلى الحسن البصري، قال: وما تقول يا أبا سعيد؟ قال: يا بن هبيرة خف الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، فإن الله يمنعك من يزيد، لكن يزيد لا يمنعك من الله، إذا أراد الله بك عذاباً في الدنيا أو في الآخرة يزيد لا يقف ويمنعك من الله، فإن الله يمنعك من يزيد لكن يزيد لا يمنعك من الله، يا بن هبيرة! إنه يوشك أن ينزل بك ملكان غليظان شديدان، فيزيلانك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، وهناك لن تجد يزيد، وإنما تجد عملك الذي خالفت به رب يزيد، فقال: ترك ابن هبيرة الشعبي، ومال إلى الحسن البصري، الذي لطفه تركه، ومال إلى البصري وجعل يبجله ويعظمه، سمع كلاماً حقاً، فلما انتهى المجلس خرج الشعبي والبصري إلى الناس فاجتمع الناس عليهم في المسجد، الناس يريدون أن يعرفوا ماذا حدث، فسألوهم: ما الذي حدث؟ فقال الشعبي: أيها الناس! والله ما قال الحسن البصري لابن هبيرة كلاماً أجله، الكلام الذي قاله أعلمه، الشعبي تابعي جليل، قال: ولكنني أردت فيما قلته وجه ابن هبيرة، وأراد هو فيما قاله وجه الله، فأقصاني الله من ابن هبيرة، وأدنى الحسن منه، الله الفعال، أنا أردت وجه ابن هبيرة فتركني ابن هبيرة، وهو أراد وجه الله فالتفت إليه ابن هبيرة، ثم قال - هذه الكلمة تكتب بماء الذهب - قالها الشعبي: يا أيها الناس! من استطاع منكم أن يؤثر الله على جميع خلقه في كل مقام فليفعل، لا تؤثر خلقاً من خلق الله، الرضا رضا الله، قال: **(فَمَنْ يَتَّبِعْ هَذَايَا فَلَا يَصِلْ وَلَا يَسْقَى (123))**

في آية ثانية قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّمَا تَاتَيْنَكُم مِّنِّي هَذَى فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَايَا فَلَا يَصِلْ وَلَا يَسْقَى (123)

[سورة طه]

فالذي يتبع هدى الله لا يصل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ولا يحزن على ما فات، ولا يخاف مما هو آت، ما الذي بقي من نعيم الدنيا والآخرة؟ الذي يتبع الهدى لا يصل في الدنيا، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ولا يشقى في الآخرة، ولا يحزن على شيء فاته، ولا يخاف من شيء سيأتي، مستسلم لأمر الله ومعه ضمان، هذه الآية الأولى.

الاستسلام لله والخضوع لمنهجه:

الآية الثانية؛ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)

[سورة البقرة]

(أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) أسلم؛ من الإسلام، والإسلام؛ من الاستسلام، والإسلام هو الخضوع للمنهج، أي تشبه اتباع الهدى، لكن أعمق، مستسلم لمنهج الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صِلًا مُمِيزًا (36)

[سورة الأحزاب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)

[سورة النساء]



الإسلام هو الخضوع للمنهج

انظروا ثلاث مراتب أخواننا الكرام، أنت اليوم اختلفت مع شريكك، اختلفت مع أخوتك على الميراث، اختلفت مع زوجتك على شيء من أحوال الدنيا (حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) شجر؛ أي صار خلاف، الشجرة تتداخل أغصانها مع بعضها (شَجَرَ بَيْنَهُمْ) صار هناك خلاف، اختلفوا على شيء لن تكون مؤمناً حقاً حتى تحكم منهج الله ورسوله (فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) هذا أول شيء، قال: (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ) عندما يقوم لا يقف على الباب ويقول: سمعتم الشيخ ماذا قال؟ ليس له حق في هذا الكلام، أنا صاحب الحق طبعاً الشيخ حكم بحكم الله، لم يحكم بخلاف هذا، شيخ من أهل العلم والدين حكم، وقال له: هذه الآية وهذا الحديث، الميراث ليس لك، هذا لأختك، هذا لها حق فيه، يخرج، يجد في نفسه حرجاً مما قضى الله ورسوله، أنا أنفذ لأنني وضعت يدي على شاري أمام العالم لكن أقول لك: أنا مقتنع؟ لا والله ليست مقتنعاً، إذا كان الدين هكذا يا أخي فهذا ظلم، الله لا يظلم، لا يرضى بالظلم، يجد في نفسه حرجاً من حكم الله ورسوله، هل هذا يكفي؟ لا، قال: (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) يجب أن يخضع، يجب أن يقول: يا رب لك الحمد على هذا المنهج العظيم، إن كان الحق عليّ أنا سوف أدفع، لكن أنا عندما أمرني ربنا عز وجل أن أؤدي الحق، أهر مليار إنسان أن يؤدوا الحق لي عندما يكون الحق لي، لما معني أن أنظر لامرأة لا تحل لي، أمر مليار إنسان ألا ينظروا لزوجتي، هذا منهج الله عز وجل، فانا أسلم، قال: (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) تسليماً؛ مفعول مطلق للتأكيد (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) هذا معنى (تَبَلَّى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أي استسلم لحكم الله عز وجل، مخلصاً لله، يريد رضا الله عز وجل.

يوجد حالات بالغرب يحدثني عنها أخوة مسلمون يتصلون بي، وكانوا من رواد المساجد، ووصلوا إلى الغرب، المرأة هناك قالوا لها: حقوق المرأة، وهناك ظلم من بعض الرجال للأمانة لكن المرأة عندما قال لها القانون: أنت إذا تطلقت لك راتب، وبيت، ونفقة، هي شعرت أنها مستغنية عن زوجها، وزوجها عندما كان بالبلد المسلم كان يظلمها، ولا يوجد قانون، فأكثر عليها من اللوم وكذا، فوجدت الفرصة المناسبة من أجل أن تتخلص منه، كانت معه لأنه لا يوجد لها مكان آخر، والآن صار لها مكان، كثرت هذه الحالات للأسف، فتنتج للطلاق، بعض المحاكم مثلاً الأمريكية تأخذ المرأة نصف أملاك زوجها عند الطلاق، الشرع يقول لها: لك المهر والنفقة في العدة، فقط، نحن نعيش ببلد ديمقراطي، بلد فيه حريات، ما يحكم القانون أريد أن أأخذ، والصلوات التي كنت تصليها؟ وحكم الله؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاحْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)

[سورة المائدة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)

[سورة المائدة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)

[سورة المائدة]

أحياناً الإنسان يتقوى بالقانون إذا كان القانون في صالحه، ويقول لك: أنا مع الشرع حينما يكون الشرع في صالحه، هذا لم يسلم لأمر الله (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) انظر الإسلام مع الإحسان، الإحسان كما عرفه صلى الله عليه وسلم:

{ عن أبي هريرة: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله. ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر، قال: يا رسول الله. ما الإسلام؟ قال: أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: يا رسول الله. ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك }

[أخرجه ابن خزيمة]

فالذي يراقب الله، ويشعر أن الله يراه في كل مكان، يحسن في عمله، يحسن في صلاته، يحسن في معاملته مع الآخرين، يحسن لأولاده، لزوجته، لوالديه، للناس جميعاً لأنه يراقب الله:

(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك).

فهنا قال: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) مستسلم لحكم الله (وَهُوَ مُحْسِنٌ) لخلق الله قال: (قُلْ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّي وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

الابتعاد عن المن والأذى:

الآية الثالثة والرابعة في الإنفاق، الثالثة قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262)

[سورة البقرة]



الله هو المنان

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال: أموال وليس مالا، لأن المال يوجد منه نقد، ويوجد منه غير نقد، الأموال ليست النقد فقط، كل ما وهبك الله هو مال (ثُمَّ لَا يُنَبِّغُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى) ما المن؟ وما الأذى؟ المن: أن يمن عليه، وهذه صفة نقص في الإنسان، وصفة كمال في الواحد الديان، الله تعالى من أسمائه المنان، لأن ربنا عز وجل صاحب الفضل، فالمن منه جلّ جلاله تذكير بالفضل، والمنّ من الإنسان للإنسان أذى له، فالله هو المنان، لكن الإنسان لا يمن على الآخرين، المن أن يقول له: أحسنت إليك، وإذا اختلف معه في شيء يقول له: لحم أكتافك من خيرى معاذ الله، أنت الله تفضل عليك، وكان يمكن أن تقف مكانه وأن يحسن الناس إليك، تطف يا حبيبتنا.

والله مرة في دمشق أقاموا حفلاً لمحسن ترع بإنشاء دار للأيتام، فأقاموا له حفلاً كبيراً في صالة ضخمة، وقام بعض الخطباء وأثنوا عليه، وهذا جيد أن تثني على فاعل الخير حتى تشجع الناس، فقام بعض الخطباء وأثنوا عليه، ثم قام أحدهم، وتكلم كلمة لا تتجاوز الدقيقة، وقف، وهو شيخ معروف بدعائيه، قال له: يا أبا فلان - هذا المحسن -؟ قال: نعم سيدنا، قال له: يا أبا فلان، أنت أحسنت وعملت الميثم، وعملت الجمعية، قال له: صحيح، قال له: وكان من الممكن أن تكون واحداً من المستفيدين من هذه الجمعية، فتقف على الباب وتنتظر دورك لتأخذ المعونة الشهرية، لكن الله تفضل عليك وجعلك في مقام الإحسان فاشكر الله، والسلام عليكم، كانت أبلغ كلمة قيلت في الحفل.

الإنسان عندما ينفق، هذا من فضل الله عليه، فلا ينبغي أن يتبعه بالمن.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان أبي يقول - انظروا للفهم العميق -: إذا أعطيت رجلاً شيئاً، ورأيت أن سلامك يثقل عليه، فكف سلامك عنه، أي أنت أعطيته مئة، أعنته بشيء، عملت له عملية جراحية، ثم رأيت أنك كلما مررت وسلمت عليه، السلام عليك يا أبا فلان، تمر من أمام محله السلام عليكم، هو يتذكر الإحسان، كان له مكانة في المجتمع، وكذا، يشعر أن هناك نقلاً عليه، قال: فكف سلامك عنه، لا تسلم عليه حتى لا يشعر بالمن.

الأذى أخواننا الكرام؛ قال: أن تخبر بإحسانك له من لا يحب أن يعلم، أنت مننت على فلان، هذا منّ، الآن أعطيت فلاناً، رأيت شريكه قلت له: كيف شريكك فلان الفلاني، إن شاء الله بخير؟ الحمد لله أموره تحسنت، أنا والله ساعدته، وضعه كان صعباً، والله أكرمنا وساعدناه، هو يريد ألا يعرف شريكه، لا يريد أن يظهر أمام شريكه أنه أخذ معونة، فالأذى أن تخبر من لا يحب إخباره بإحسانك إليه، كف لسانك عن الأمر: (ثُمَّ لَا يُنَبِّغُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

الصدقة من أعمال الإخلاص:

الآية الرابعة أيضاً عن الإنفاق قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)

[سورة البقرة]

في كل حال، بالليل والنهار، أي لا يتوقف عن العطاء (سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سرّاً وعلانية طبعاً قدم السر لأن الأصل في الصدقة هو الإخفاء.

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ' سَبَّعَةَ يَطْلُهُمُ اللَّهُ فِي طَلِّهِ يَوْمَ لَا طَلَّ إِلَّا طَلُّهُ:

الإمامُ العادلُ، وشابَّ نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه مُعَلَّقٌ بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعودَ إليه، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا على

ذلك وتفرَّقا عليه، ورجل دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمال، فقال: إني أخافُ الله، ورجل تَصَدَّقَ بصدقة فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالكُ ما

تُنْفِقُ يمينه، ورجل دَكَرَ الله خاليا ففاضت عيناه {

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك]



الأصل في الصدقة الإخفاء

فالأصل في الصدقة الإخفاء، فهي من أعمال الإخلاص، لكن أحياناً قد ينفق المال علانية عندما لا يتوجه إلى فقير بعينه، نحن جلسنا بهذا المجلس، انتهينا وقلنا: يا جماعة والله يوجد فقير، حالة من الحالات عندي، مريض وبجاجة إلى عمل جراحي، يكلفه ألفاً، فقام أول واحد أمام الناس، وقال: هذه مئة مني، الثاني قال: وأنا مئة، والثالث وضعه المالي ممتاز قال: أنا سأدفع مئتين، فهنا لم يضر أحداً، العلانية عملت تشجيعاً، قال: **(سراً وعلانيةً)** فسررتها الآية الثانية، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَيَغْتَابَ هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَبُكْرٌ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)

[سورة البقرة]

فالأصل إن كنت تريد أن تعطي فقيراً لا تقل للناس، أمل إذا كان المشروع خيراً عاماً لا مانع أن ينفق المال علانية بشرط أن تأمن على قلبك ألا يصيبه الغرور أو العجب ويكون الإخلاص موجوداً، قال: **(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)**.

شروط العمل الصالح:

الآية الخامسة وأكتفي بها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277)

[سورة البقرة]



العمل الصالح يصلح للعرض، على الله

انظروا أخواننا الترتيب هنا جميل جداً **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا)** هذا الجانب المعرفي العقدي، العقيدة، الإيمان والتصديق **(آمَنُوا)** الآن انتقل من الإيمان إلى العمل، من الفكر إلى السلوك، من المنطلقات النظرية إلى التطبيقات العملية **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)** لكن ما عملوا مطلقاً، كلنا نعمل، قال: **(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)** ففقد العمل بالصالح، والعمل الصالح سمي صالحاً لأنه يصلح للعرض على الله، أي عمل تريد أن تعرفه صالحاً أو غير صالح، قل: هل يصلح أن أعرضه على الله يوم القيامة؟ إذا كان يصلح فتوكل على الله، والعمل الصالح لا يكون صالحاً إلا أن يكون خالصاً لوجه الله، وصواباً وفق منهج الله، فإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً فهو ليس بصالح، وإذا كان خالصاً جدلاً - وإن كانت نادرة - ولم يكن صواباً فلا يصلح أن يكون عملاً صالحاً، هذه حالة مثل رجل خبري تحضره والعباد بالله الراقصة الفلانية - ننزه المجلس عن هذا لكن للتوضيح - يخص ريعه لصالح الأطفال المنكوبين في العالم، جمعت العالم على شر، وعلى فسق، وعلى فجور، ثم قلت: والله نحن ما استفدنا شيئاً كله لصالح المنظمات الخيرية، الله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيباً، عزيز جل جلاله لا يريد منك نقعة وأنت تقيم والعباد بالله معصية، لا يجوز، يكون خالصاً وصواباً، وفق منهج الله، وتنغي به وجه الله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَبَسَّمَ صَاحِبًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي رَحْمَتَكَ
فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)

[سورة النمل]

عمل صالح يرضاه الله وفق منهجه.

أهم عملين صالحين يفعلهما الإنسان هما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة:



الاتصال بالله عظيم عند إقامة الصلاة

(إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌوَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) الآن عطف الخاص على العام، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أليست من الأعمال الصالحة؟ لكن عطفها لأن أهم عملين صالحين يفعلهما الإنسان هما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لماذا؟ لأن كل حركتك في الحياة إما أن تكون عمودية نحو الخالق، أو أفقية نحن المخلوق، أعطوني حركة ثالثة، إذا كنت تصلي؛ نحو الخالق، وإذا حججت؛ نحو الخالق، وإذا ذكرت؛ نحو الخالق، وإذا قرأت القرآن؛ نحو الخالق، وإذا تعاملت مع الناس، نحو المخلوق، فكل حركات البشر إما أن تكون حركة نحو الخالق، أو نحو المخلوق، فإذا تحركت نحو الخالق فالصلاة، ويكون الاتصال بالله عظيماً عند إقامة الصلاة، وإذا تحركت نحو المخلوق فأعظم شيء هو أن تهيه الزكاة، فالعلاقة صلة بالخالق وإحسان إلى المخلوق، لذلك عطف على العمل الصالح أهم حركتين في الحياة (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ) ما قال: صلوا، في القرآن لا يوجد؛ وصلوا، إن الذين آمنوا وصلوا، لا، قال: (وَأَقَامُوا) دائماً، ولا مرة الله قال: صلوا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْ أَفِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ (72)

[سورة الأنعام]

لأن إقامة الصلاة شيء، وأن تصلي شيء آخر، تقول العرب: أقام القوم سوقهم، أي لم يعطوها من البيع والشراء، أما إذا أقاموا السوق بمعنى أنهم وضعوا الخيمة ووضعوا أجود أنواع الفرش لكن لا يوجد بيع وشراء، هل أقاموا سوقهم؟ لا، فإذا صلى الإنسان لكنه يظلم الناس، فقد أسقط الوجوب لكنه لم يحصل المطلوب، أسقط الواجب لكن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، الفحشاء في القول، والمنكر في الفعل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِثْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)

[سورة العنكبوت]

فالذي يقيم الصلاة هو الذي يؤديها وفق منهج الله ويحقق مقصود الله منها، فيحسن صلته بالله فينتقل إلى إيتاء الزكاة والإحسان إلى المخلوقين، قال: (إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌوَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ) ما قال: لهم أجر، قال: (أَجْرُهُمْ) ما الفرق؟ ماذا قال صلى الله عليه وسلم؟ قال:

{ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ** قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ {
[أخرجه ابن ماجه]

ما قال أجراً، لو قال أجراً، أي هو اشتغل بمئة أعطيته خمسين، قال لك: والله لا تكفي، قلت له: لا يوجد غير هذا المبلغ، وأنت تعلم أن أجر هذا الأمر لا يكافئ الذي أعطيته إياه، هو اشتغل مدة يومين، فأنت ما أعطيته أجره، أعطيته أجراً، قال: **(أَجْرُهُ)** الأجر المكافئ لعمله، أو الأجر المتفق عليه، قبل أن تبدأ كم تريد؟ لكن أعطه في النهاية الأجر المكافئ لعمله، فقال: **(أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ)** فهنا ربنا قال عز وجل: **(لَهُمْ أَجْرُهُمْ)** وربنا عز وجل إذا أعطى الأجر لا يعطي المكافئ، يعطي أضعافاً مضاعفة إلى مئة ضعف، لكنه يطمئنك: **(لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)**.

والحمد لله رب العالمين

نور الدين الاسلامي